الحرية في الدين الإسلامي

شهاب الدين ثاقب

جامعة النيلين

مجلة كلية الدراسات العليا

الرقم الدولي الموحد: 1858-6228

المجلد: 15 ، 2020م
العدد: 04

كلية الدراسات العليا
جامعة النيلين

Graduate College Journal – NU
Vol.15 -2020, No. (4)
ISSN: 1858-6228, http://www.neelain .edu.sd

مجلة الدراسات العليا - جامعة النيلين
المجلد 15 –2020، العدد (4)
الرقم الدولي الموحد للدوريات: 1858-6228

الحرية في الدين الإسلامي

شهاب الدين ثاقب

جامعة بلخ – افغانستان

المستخلص

تمثل قضية الحرية مسألة محورية في التشريع الإسلامي، لها جذورها الضاربة في أعماق التاريخ الإسلامي، بل وفي مصادرها الرئيسة، أن الإسلام دين قرر مبدأ الحرية منذ بداية ظهوره في مكة المكرمة، ومنع الإكراه بنصوص واضحة لاتردد فيها ولاغموض، وبصورة قاطعة جازمة لا تدع شكا لمرتاب، فكان الإسلام في عقيدته وفي حركته السياسية وفي نظامه الاقتصادي والاجتماعي يمثل مشروعا تحرريا وثورة ضد كل أشكال العبودية لغير الخالق عزوجل .ولقد كان مبحث الحرية والإختيار أول المباحث التي بدأت بها الفلسفة الإسلامية وفي تاريخنا الحضاري بعد ظهور الإسلام، ومن المأثورات الإسلامية كلمات الراشد الثاني عمر بن الخطاب . رضي الله عنه متي استبعدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟ وبالتالي نظرة الإسلام إلي الحرية، ومن ثم مقامها فيه، نظرة متميزة، خاصة إذا كانت المقارنة مستحضرة نظرة الحضارة الغربية وبعض الحضارات الشرقية القديمة الي هذا الموضوع .فالحرية في النظرة الإسلامية ضرورة من الضرورات الإنسانية، وفريضة إلهية وتكليف شرعي واجب.. وليست مجرد "حق" من الحقوق ، يجوز لصاحبها أن يتنازل عنها إن هو أراد.

مقدمة

جاء الإسلام ليرفع من مكانة الإنسان – من حيث هو انسان - فكرمه وأنعم عليه بنعمة العقل و ارزقه من الطيبات وفضله علي سائر المخلوقات يقول ربنا سبحانه وتعالي ("وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا)

الحرية هي روح الدين الإسلامي وهي أعز شئ علي الإنسان بعد حياته، بفقدانها، تفقد الأمل ، وتبطل الأعمال وتموت النفوس وتتعطل الشرائع، وتختل القوانين فيصير الفتور والانحطاط والتقاعس، لمن ألفو الإستبداد والذل والهوان.

لذلك فإن الإسلام يعتبر بحق الحرية بمثابة دعوة التحرر الحقيقي للإنسانية وذلك عندما وضع نظاما ومنهاجا قائما علي عبودية الله سبحانه وتعالي ونفي عبودية الإنسان للإنسان مما يترتب علي ذلك تحرير النفس البشرية والعقل الإنساني من القيود الوثنية.

فإن الإسلام جعل الحرية حقا من الحقوق الطبيعية للإنسان ، فلا قيمة لحياة الإنسان بدون الحرية ، وحين يفقد الإنسان حريته، يموت داخليا ، وإن كان في الظاهر يعيش ويأكل ويشرب ويعمل ويسعي في الأرض.

فالحرية غريزة فطرية وجبلة بشرية تلتقي عندها المشاعر وتتجاوب معها العواطف وتتطلع إليها النفوس ، وبالحرية تتحقق ذاتية الإنسان وكرامته وسعادته في الدنيا والأخرة.

أهمية البحث

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من طبيعة الموضوع الذي تعالجه ، فهي تسلط الضوء علي مفهوم الحرية في الإسلام الذي ينبع من داخل الفرد المسلم ليمنحه إحساسا جارفا ملازما للايمان بالله تعالي مما يدفعه ليمارس حريته الفكرية والسياسية والاقتصادية والتعلمية باصالة قوية من أجل النهوض بأمته وبابناء مجتمعه، وقطع الطريق علي كل الطامعين الذين يحاولون سرا وعلانية تشويه الدين الإسلامي بأنه دين العبودية والرجعية والتخلف.

أهداف البحث

يسعي الكاتب من خلال هذه الدراسة إلي القاء الضوء علي مفهوم الحرية في الإسلام ويتم ذلك من خلال متابعة الظاهرة و دراستها والوقوف عليها وذلك بالتركيز علي الجوانب التالية:

- الحرية في المعاجم اللغوية.
- مفهوم الحرية في الإسلام.
- مفاهيم الحرية وأسسها في الغرب.
- بيان مرتكزات الحرية في الإسلام.

أسباب اختيار البحث

أن هناك عدة أسباب رئيسية دفعني لإختيار هذالعنوان و تلك الأسباب كالتالي:

- أصبحت موضوع الحرية جزء لا يتجزاء من جميع نواحي حياة الإنسان :ا، والاجتماعية ، والثقافية ، والاقتصادية، والسياسية...
- الاتهامات الواردة علي الإسلام باعتبار أن الإسلام دين لايحترم حريات الأشخاص في كافة نواحي الحياة، وأن الإنسان لابد أن يكون مقيداً!
- عدم فهم أساسيات ومبادئ الدين الإسلامي من قبل بعض تجار الدين بصورة دقيقة، مما جعل يتشدودون في الدين و عملوا غلو و افراط في الدين بإسم الدين.
- النقاط الأنفة الذكر دفعني لإختيار هذا العنوان و البحث فيه، لتوضيح مكانة الحرية في الدين الإسلامي.

مشكلة البحث

تتمثل مشكلة البحث في النقاط الآتية:

- ما مفهوم الحرية من وجهة نظر الاسلام؟
- هل فعلا يوجد حرية في الدين الإسلامي ؟
- ماهي نوع الحرية في الدين، هل هي حرية مطلقة أم مقيدة وماهي ضوابطها؟
- ماهو الفرق بين الحرية التي تنادي بها الغرب والحرية التي تؤكد عليها الإسلام؟

منهج البحث

استخدمت المنهج الوصفي التحليلي في دراستي لمفهوم الحرية في الاسلام من أجل وصفه والوقوف علي حيثياته وتحليله في ضوء المعلومات المستقاة من الكتب والمراجع والقرآن الكريم والأحادث النبوية الشريفة.

دراسات وأبحاث سابقة

- كتاب مقصد الحرية في الشريعة الاسلامية رُؤية في الموازنة بين الحريات الشخصية والمصالح العامة للدكتور بشير عبدالعالي شمام ،يناقش فيه موضوعيين مهمين في الحرية، الموضوع الأول حول مفاهيم الحرية والأسس التي تقوم عليها ، والموضوع الثاني حول الموازنة بين الحريات الشخصية والمصلحة العامة.
- كتاب الحريات في الشريعة الإسلامية مقارنة بالإعلان العالمي لحقوق الانسان للكاتب خالد سليم عبد الفتاح: يعرض الكتابب مفهوم الحرية في التصورات الإسلامي مقارنة مع تصورات الفكر الغربي لهذين المفهومين، كما ناقش مسألة الحرية كمبدأ إسلامي عام وكيف عمل الإسلام علي تحرير الإنسان.
- بحث عن مفهوم الحرية في الإسلام، للمركز الديقراطي العربي، تناول فيه مفهوم الحرية في الإسلام ، وأسس الحرية في الإسلام واهميته , وكذلك عن الحريات الفردية والجماعية.

من خلال هذه الدراسة أراد الباحث أن يؤدي مسؤوليته الدينة والإيمانية في رد الاتهامات التي تحصل علي الدين باعتباره ناقضة الحريات، و تنوير المجتمع بأن في الدين كامل الحرية للفرد.

المحور الأول : معني الحرية لغة وفي الاصطلاح

اولا: الحرية لغة

في اللسان العرب لإبن منظور في شرح معاني كلمة الحرية : "والحر بالضم نقيض العبد والجمع أحرار و حرار ، والحرة: نقيض الأمة والجمع حرائر"(177).

يقول صاحب معجم مقاييس اللغة : "الحاء والراء في المضاعف له أصلان : الأول ما خالف العبودية والثاني خلاف البرد، والذي يعنينا هنا هي الأول ما خالف العبودية وبرئ من العيب والنقص يقال: هو حر بين الحرورية والحرية، ويقال طين :حر لا رمل فيه ، وحر الدار :وسطها. ويقال حرً الرجل يحر من الحرية"(أبو الحسن،1399.1979،مجلد 2، ص 6

و جاء في لسان العرب : حرره : أي أعتقه، والمحرر الذي جعل من العبيد معتقا، يقال حرً العبد يحر حرارة أي صار حراً. وتحرير الولد أن يفرده لطاعة الله عزوجل وخدمة المسجد ، وقوله تعالي :﴿رب إني نذرت لك مافي بطني محرراً﴾. قال الزجاج : هذا قول إمرأة أل عمران ومعناه جعلته خادما يخدم في متعبدك (المرجع السابق)

وجاء في مفردات الراغب : "الحر خلاف العبد ، فقال حرٌ بين الحرورية والحرورة، والحرية ضربان: الأول : مالم يجر عليه حكم الشيء . والثاني من لم تتملكه الصفات الذميمة من الحرص والشر، علي المقتنيات الدنيوية .فمن الأول ﴿فتحرير رقبة﴾ ومن الثاني ﴿أني نذرت لك مافي بطني محرراً فتقبل مني أنك أنت السميع العليم﴾ أي معتقا من أمر الدنيا وحر الوجه مالم تسترقه الحاجة"(الاصفهاني، 1430. 2009، ص 224)

وجاء في المعجم التقني والنقدي للفلسفة،" الإنسان الحرٌ من لم يكن عبداً او سجيناً ، والحرية هي غياب التحكم الخارجي"(لالاند، 1909. 1927، ص 558. 559)

بناء علي ما تم ذكره أنفا من التعريفات في المعاجم اللغة ، يتضح أن الحر من كل شيء يقصد به أعتقه وأحسنه وأطيبه، والأحرار من الناس هم الأخيار والأفاضل ، وبالتالي أن كلمة الحرية في اللغة العربية تطلق علي الخلاص من العبودية.

كما يعبر عن الحرية علي انها القدرة علي التصرف بملء الإرادة والخيار، والإنسان الحر هو الإنسان
الغير المقيد بأي من القيودات المادية وغير المملوك لأي شخص أخر.

ثانيا: الحرية في الاصطلاح

تعددت نعاريف مصطلح الحرية عند المذاهب المختلفة، لكنه ورد في اعلان حقوق الانسان الصادر عام 1789م علي أنه: (حق الفرد في أن يفعل ما لا يضر الآخرين)

و الحرية في الاسلام هي : (ما وهبه الله للإنسان من مكنة التصرف لإستيفاء حقه و أداء واجبه دون تعسف أو اعتداء).

و عند الغرب هي : (الانطلاق بلا قيد والتحرر من كل ضابط والتخلص من كل رقابة ولو كانت تلك الرقابة نابعة من ذاته هو).(وفاء نايف خالد العجمي، مفهوم الحرية في الاسلام).

المحور الثاني: مفاهيم الحرية في الإسلام

لقد خلق الله الإنسان حراً، وخلق بني آدم ، أحراراً، ليس بعبد للعبيد، وهذا هو الأصل فيهم، والله عزوجل أعطي الإنسان إرادة ومشيئة، واختياراً، فليس العبد مجبراً علي عملٍ، وإنما هو حر في اختياره ومشيئته، وبناء علي هذه الحرية في الاختيار والمشيئة؛ يحاسبه الله عزوجل.

فلو كان العبد مكرها مجبراً لا حرية له في الاختيار فإن الله لايواخذه علي افعال "ان الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه" (الراوي عبدالله بن عباس، رواه صحيح إبن ماجة، رقم الصفحة 1677، حديث صحيح.(

وصححه ألباني في الجامع الصغير ،فإذا فقد العبد حريته في العمل، ومشيئته في الإختيار ، فصار مجبراً مكرهاً، لايؤاخذه الله . سبحانه وتعالي . فيكون الإكراه عذراً له في هذه الحالة فلا يأثم، وأما ما عمله باختياره، وحريته، ومشيئته، فإن الله عزوجل يحاسبه عليه.

مفهوم الحرية من المنظور الإسلامي يتحقق من خلال الحقوق والواجبات بإعتبارهما وجهيين لعملة واحدة ، لأن الحقوق من دون أن تقيد بالواجبات سيصبح الفرد غير مرتبط باالآخرين وقد يعرف حقوقه ولا يعرف حقوق الآخرين عليه، وبذلك يصبح إنفرادياً في تعامله ، قاصراً عن أداء واجباته، وقد حرص الإسلام علي تطبيق مبدأ الحرية في هذه الحدود وبهذا المناهج في مختلف شؤون الحياة، وأخذ به في جميع النواحي التي تقتضي كرامة الفرد وأن يأخذ به في شؤونها وهي النواحي المدنية والدينية ونواحي التفكير والتعبير، ونواحي السياسية والحكم وحتي وصل به في كل النواحي إلي شأن رفيع لم تصل إلي مثله شريعة أخري من الشرائع العالم، والحرية في الإسلام لاتعني الفوضي وارتكاب الموبقات والمنكرات بإسم الحرية واستباحة محارم الله تعالي والإنغماس في الشهوات المحرمة ، فالحرية التي تبيح هذ المحظورات هي فوضي ، وتصور خاطئ للحرية.(العميري، فضاءات الحرية بحث في مفوم الحرية في الاسلام ، ص 13.(

وقد صحح الإسلام هذا التصور الخاطئ وقرر حرية الناس منذ ولادتهم ، وانه لايجوز استبعادهم كما لايجوز تقييد حرياتهم وكل حق لهم ، يقابله واجب عليهم ليكون هناك نوازن في الحياة والتعايش مع الآخرين, ولذلك قال رسول الله . صلي الله عليه وسلم . " مثل القائم علي حدود الله والواقع فيها ، كمثل قوم استهموا علي سفينة فاصاب بعضهم أعلاها وأصاب بعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا علي من فوقهم فآذوهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا ، فإن تركوهم هلكوا وهلك الناس جميعهم وإن منعوهم نجو ونجي الناسى جميعاً.(رواه البخاري)

وهكذا حياة الناس علي سطح الأرض كركاب السفينة تحمل هذه الأرض البر والفاجر، والصالح والطالح والمحسن والمسيء كالذين يسيئون للآخرين بما فيهم أنبياء الله . تعالي . ورسله بحيث يرسمونهم في صور لا تليق بمقامهم الذي يستحق الاحترام والتقدير والتقديس ،فإن تُرك هؤلاء المسيئين يمرحون ويفعلون ما يحلو لهم ومايشاءون، دون الأخذ بأيديهم وكفها عن اقتراف الموبقات والآثام وهي سبب عظيم من أسباب الهلاك للجميع نتيجة لاختلاف التوازن في مطالب الحياة هلكوا وهلك الجميع، وإن أخذ علي أيديهم نجو ونجي الناس جميعاً وحيوا حياة طيبة، ولاريب أن الأخذ بأيدي السفهاء وأطرهم علي الحق أطرًا وتوجيه لما ينفعهم في دينهم ودنياهم من أسباب النجاة والحياة الكريمة، وهذا هو توجيه الإسلام للحرية، وقد عزز رسول الله . صلي الله عله وسلم . في سنته المطهرة وسيرته العطرة مبدأ "الحرية" سواء في التفكير أم التعبير في أعمال الرأي والاجتهاد في أمور الدين والدنيا ، حرصا منه علي تكون الشخصية المستقلة المتماسكة القوية لدي المسلم.(الكيلاني،منارة، 1430هـ

مفهوم الحرية في الإسلام (فلسفة المفهوم أخلاقيا)

الأخلاق هي احد فروع الفلسفة التي ارتبط بها النقاش حول الحرية بشكل عام، أما الحرية فهي خاصية وموقف الفرد منها أنها لا ترتبط بالظروف السياسية والاجتماعية كما أنها لا تتجزأ فالإنسان لايمكن أن يكون نصف حر ونصف عبد في شخصه الاخلاقي ، وإذا حددناها تحديدا فسنجد أن الحرية الأخلاقية تعني : رغبة الإنسان في أن يكون رقيقا لأحد ولا سيدا لأحد إن عليه أن يحاول العيش باعتدال ، ويتجنب مزالق الثروة وعبوديتها، وبهذه الطريقة يتخلص المرء من عبوديتي الغني والفقر.

إن أخلاقيات الإنسان هي التي تحدد كونه حرا أو عبدا ولا توسط بينهما، إن الإنسان الحر يتقبل كل ضروب المهمات الصعبة معتبرا ذلك شرفا له، (المرجع السابق) أما إذا طلب إليه التخلي عن جزء من حريته فإنه غير مستعد لسماع ذلك أو القيام به.

كما أهتم الإسلام كثيراً في بناء الذات الإنسانية الحرة الواعية، والذات الإنسانية الأخلاقية وأنفق الرسول . عليه السلام . قرابة الثلاثة عشرعاما، لإرساء العقيدة والإيمان والتوحيد في نفوس أتباعه، لأن بناء هذه الذات الحرة كان ضروريا لتحمل تبعات القيام بأعباء تأسيس الأمة، ونشر الدعوة والدفاع عنها، لذا وجدنا أن الآبات المكية من القران، هي الآيات التي تخدم البناء العقدي والحضاري والإنساني والأخلاقي، بينما تأخرت آيات الأحكام إلي المرحلة المدنية،لأن المعروف أن الحكم التشريعي إنما يجيء ثمرة للوجود والبناء الإسلامي،بمعني أن الحكم والقانون لاينشئ الإنسان ولاينشئ المجتمع ، وإما ينظمه ويحميه، ولعل ذلك هو سبب تأخر الآيات التشريعية إلي الفترة المدنية ولتكون ثمرة لوجود قرد وجماعة وأمة وحضارة.(المركز الديمقراطي العربي، مفوم الحرية في الاسلام.(

لقد أتي الإسلام بمبدأ المساواة بين الناس، وهو مبدأ أساسي للحقوق الإنسانية، فكل الناس ينحدرون من أدم والله هو مرجعهم. وفي ذلك نجد الحديث النبوي الشريف، قال رسول الله صلي الله عليه وسلم " أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، كلكم لأدم وآدم من تراب ."

وبالتالي، فإن المساواة كانت قائمة بين الناس أم القضاء ، وأمام الشريعة، والأعباء العامة وفي المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية بلا تفرقة من خلال اللون أو العرق أو الجنس أو اللغة، وقد كان مصدر هذه المساواة هو القران الكريم ، قال الله تعالي يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)(سورة الحجرات، الآية 13)

وبهذا المساواة كان الناس ومازالو سواسية في المنظور الإسلامي، قال النبي صلي الله عليه وسلم "الناس سواسية كأسنان المشط لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوي."

والحرية في الإسلام أصل عام يمتد إلي كل المجالات الحياة البشرية ، فالحق في الحياة من الحقوق الضرورية أولاه الإسلام عناية واضحة وأهمية خاصة باعتبار الإنسان كائنا حياً أراداالله له الحياة ، واستحق التكريم ، كما أن الإسلام حرم القتل ، واعتبر قتل أي إنسان قتلا للبشرية كلها، والحفاظ علي روح أي إنسان بمثابة حماية أرواح جميع الناس (مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ) "سورة المائدة ، ألآية 32" و قد حافظ الإسلام كذلك علي حق الأمن الإنساني في كفالة سلامته، وعرضه، ونفسه، وحرم تحقيره وتعذيبه وتعريضه للأذي سواء من طرف الأفراد أم من طرف الدولة.

كما أن الإسلام يحمي غيرها من الحقوق الأساسية التي تحمي الفرد داخل الجماعة، وبها يتم الحفاظ علي حقوق الجماعة ، لأن حق الفرد من حق الجماعة.

وما يثير الانتباه هو أن الإسلام قد كفل حرية العقيدة والرأي، وذلك بإقراره لكل إنسان الحق في اختيار العقيدة التي يريد دون إكراه، وعلي ذلك نري أن القرآن الكريم والسنة النبوية أكدوا علي حرية الإنسان في مواضيع متعددة، نرصد بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية علي سبيل المثال وليس علي سبيل الحصر للدلالة علي تأكيدها بالحرية.(العروباوي، 2016، ص 10)

الحرية في القرآن الكريم : القرآن الكريم يمثل وثيقة جوهرها و روحها تحرير الإنسان ، بالمعني الكامل و الواسع والعميق للكلمة ، فعلي المستوي الفكري العقيدي رفض القرآن الكريم صراحة أن يكره إنسان علي اعتقاد ما، قال تعالي (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (سورة البقرة، الآية 256) اورد الطبري " نزلت هذه الآية في قوم من الأنصار أو في رجل منهم كان له اولاد قد هودهم ، أو نصرهم ، فلما جاء الإسلام أرادو إكراههم عليه، فنهاهم الله عن ذلك حتي يكونوا هم الذين يختارون الدخول في الإسلام.(الطبري(

فليس لبشر ان يكره بشراً علي الإيمان ، حتي و لوكان رسول الله صلي الله عليه السلام ، قال تعالي{فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ (21) لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ (22)} (سورة الغاشية،الأية 22) اي فذكر يا محمد الناس بما أرسلت به إليهم (فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب) ولهذا قال " لست عليهم بمسيطر" قال ابن عباس ومجاهد، لست عليهم بجبار اي لست تخلق الايمان في قلوبهم ، وقال ابن زيد لست بالذي تكرههم علي الإيمان.

وتأكيداً لهذا الموضوع قال ربنا سبحانه وتعالي في موضع آخر ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ (سورة يونس،الآية 99) يقول الزمخشري " في تفسير الآية الكريمة: يعني إنما يقدرعلي إكراههم و اضطرارهم الي الايمان هو لا انت، لأنه هو القادر علي ان يفعل في قلوبهم مايضطرون عنده إلي الايمان، وذلك غير مستطاع البشر.(الزمخشري، تفسير الآية 99 من سورة يونس)

و قد تكرر هذا المعني وهو حصر وظيفة الرسول صلي الله عليه وسلم، في البلاغ ولا شأن له في اكراه الناس علي شيء أكثر من عشر مرات في القران الكريم، أما الآيات الدالة علي ان الله هو الفعال لما يريد، الهادي لمن يشاء، المضل لمن يشاء بعلمه وحكمته وعدله فقد تكررت لما لا يحصي عدا.

وهكذا وبهذا الوضوح دافع القرآن الكريم بكل قوة وصراحة عن حرية اختيار المعتقد دون إكراه من أحد من مظاهر الحرية ان يشعر الفرد انه ليس أقل من غيره ولا هو أفضل من غيره، كائنا ما كان مركزه، رفعة او وضاعة، لأن ذلك الشعور يعني الانتقاص من حرية التعبير عند من يشعر بالدون وتجاوز حريات الغير ومصادرتها عند من يشعر بالرفعة ف'ذا كان الأمر كذلك فلنقدم أمثلة من السنة لتوضيح هذا المبدأ واقعاً معيشاً لا مجرد شعار يرفع.

اخرج البخاري في صحيحه عن عائشة أم المؤمنين . رضي الله عنها . أن قريشاً أهمهم شأن المرأة " المخزومية" التي سرقت ، فقالوا ومن يكلم فيها رسول الله . صلي الله عليه وسلم . ومن يجترئ إلا أسامة بن زيد حب رسول الله صلي الله عليه وسلم فكلمه أسامة فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم أتشفع في حد من حدود الله ، ثم قام فاختطب، ثم قال : إنما أهلك الذبن قبلكم كانوا إذا سرق فيهم الشريف ، تركوه ، وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو ان فاطمة ابنة محمد سرقت لقطعت يدها (أخرجه البخاري في صحيحه)

نستخلص بأن الشريعة الإسلامية لا تميل إلي حرمان الأفراد من حرياتهم والحرية في الاسلام مكفولة لكن بشروط حتي لا تكون فوضي أو تجاوز حقوق الغير يستطيع الإنسان أن يتصرف بشؤونه في نفسه و تحمله مسؤولية هذا التصرف ،أباح للإنسان أن يأكل و يشرب و يلبس ما يشاء ولكن حدد ذلك بأوامر و نواهي . الحرية في الاسلام هي حق من الحقوق الطبيعية للإنسان فلا قيمة لحياة الإنسان دون حرية.

الحرية في الاسلام هي حق من حقوق الإنسان كفلتها الشرائع السماوية قبل الأنظمة والتشريعات الحديثة، يقوم مفهوم الحرية في الإسلام علي اطلاق الحرية للفرد في كل شيء مالم يتعارض او تصطدم بالحق او الخير او المصلحة العامة، فإذا تعدت تلك الحدود تحولت إلي اعتداء يجب وقفه وتحيده.

الحرية في النظام الإسلامي بهذا المفهوم شاملة لكل أنواع الحريات ، الحريات المتعلقة بالإنسان في ذاته، والحريات المتعلقة بخصوصيات

الإنسان، وحرية الاتصال والنقل والاقامة داخل الدولة أو خارجها، الحريات السياسية أو الاجتماعية او الاقتصادية او الفكرية و حرية التعبيري و الرأي.

من أهم تلك الحريات

الحرية السياسية

الحرية السياسية جزء أساسي من الحرية الإنسانية لذلك منحها الإسلام للفرد وهيأ له جميع وسائلها هي تلك الحرية التي يتمكن الأفراد بموجبها من ممارسة حقهم في اختيار الحاكم و نصححه و عزله اذا اقتضي الأمر ذلك، و بذلك تكون الفرصة متاحة أمام الفرد ليعبر عن إرادته دون خوف أو حذر ونجد أن الشريعة الاسلامية أكدت علي ذلك في قوله تعالي (ادعوا الي سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) (سورة النحل، أية 125)

ففي تنظيم علاقة الراعي بالرعية تضمن المبادئ التي ينص عليها القران والسنة الحرية السياسية لكل افراد المجتمع، كما تضمن للحاكم الطاعة و الاستجابة والتعاون مع النحكومين، ويتمثل النظام السياسي الاسلامي في ثلاثة مبادئ هامة هي : حق الأمة أو الرعية في اختيار الحاكم،ثم حقهم في مراقبته و محاسبته علي أعماله، والثالث مبدأ الشوري.

أما طريقة الاختيار للحاكم، فان الذي اتبعه الصحابة هو أن يبايع أهل الحل والعقد الامام أو الخليفة الذي تم الاتفاق عليه، و قد تولي الخلفاء الراشدون . و عهدهم هو العهد الذي يمثل مبادئ القران أصدق تمثيل _ بطريقة البيعة من أهل الحل و العقد.

أما حق الأمة في محاسبة الحاكم، فقد نص علي ذلك أبو بكر وعمر و سائر الخلفاء في خطبتهم الأولي بعد مبايعة الناس لهم بالخلافة، كما أن ما حدث من عامة الناس لعثمان بن عفان خير دليل علي ذلك، و ان كانوا قد جاروا عليه باستخدام هذا الحق غير موضعه و دون مبرر معقول و مقبول.

والحق الثالث للناس علي الراعي هو حق الشوري(والذين استجابوا لربهم و اقاموا الصلاة و أمرهم شوري بينهم ـ الشوري ، 38)

فبين أن تلك الصفة لازمة للمجتمع المؤمن كالصلاة و سائر الطاعات، ومن ثم أمر نبيه أن يعامل المسلمين في امورهم بهذا المبدأ (فاعف عنهم واستغفر لهم و شاورهم في الأمر. أل عمران ، 159)

هذه الحقوق الثلاثة للرعية علي الراعي مقابل حقه عليهم في السمع والطاعة ما دام لا يأمر بمعصية، تحقق المساواة التامة بين الناس من جهة و بينهم وبين الفئة الحاكمة من جهة أخري (دكتور فاروق دسوقي، حرية الانسان في الفكر الاسلامي، ص418)

حرية العقيدة للأفراد والشعوب

والنتيجة الثانية . القائمة علي حقيقة الخلافة في النظام الالهي القراني هي الحرية التامة لكل فرد من الرعية، و ذلك لأن الحرية هي وسيلة تحقيق خلافة الفرد في نفسه و في مجتمعه، ومن ثم فلا خلافة بدون حرية، ولا انسانية بلا خلافة فلن تكون هناك انسانية بلا حرية اذا، و لذلك فان التشريع القراني يكفل للفرد ضمانات صلبة و راسخة لحريته، حيال المجتمع و رعايته، فجعل لكل فرد حق الاختيار في كل أمور حياته و أخرته هزيلها وخطيرها ما دام هذا الاختيار لا يتضمن اعتداء ظالما علي غيره.

فيجعل الاختيار بالنسبة للايمان بالله أو الشرك به حقا لكل انسان(وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر . الكهف، 29.(

وذلك لأن الانسان مخلوق حر والحرية مكون أساسي في طبيعته التي خلقه الله بها، فما دام ذلك حقه الذي أعطاه الله له، فليس من حق أحد أو أي سلطة أن تسلبه منه، حتي لو كان ذلك لصالح الايمان والاسلام، فلو أكره حاكم أحدا من رعيته علي الاسلام لكان ذلك اعتداء منه علي حق المكره الذي كفله الله له، و رفض منه لإرادة الله و مشيئته في خلقه و ذلك واضح صريح في قوله تعالي لرسوله الكريم، مبينا أن ليس من حقه أن يكره أحدا علي الايمان(ولو شاء ربك لأمن من في الارض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتي يكونوا مؤمنين . يونس: 99)

فما دام الله قد شاء أن يكون الناس أحرارا مختارين بين الايمان والكفر، فمن يكره انسانا علي الايمان و هو مصر علي الكفر أو الشرك، فقد خالف مشيئة الله و اعتدي علي حق هذا الانسان الذي وهبه الله له (دكتور فاروق دسوقي، حرية الانسان في الفكر الاسلامي، ص424)

الحرية الاجتماعية

أما الحرية الاجتماعية، والتي تعني كزن المواطنين جميعا سواء في الحقوق والواجبات بلا تميز طبقي، أو تفاوت بينهم من حيث القيمة الانسانية مفهوما و تطبيقا فالقران والسنة يشملان من النصوص العديدة ما يثبت ذلك بوضوح وجلاء.

وتنبثق فلسفة النظام الاجتماعي في القران من حقيقة الخلافة وتعللها حقيقة الابتلاء، فوجدنا التفاوت و الدرجات بين الناس في المجتمع في شتي المجالات، واقع بمشيئة الله سبحانه وتعالي، حيث خلقهم متفاوتين في المواهب وسهة النفوس والعقول، وما عليه منهم من الجمال والصحة وأحوال البيئة والظروف الخاصة لكل أسرة ولكل فرد، و قد شاء الله ذلك للإبتلاء.

وبذلك يوجب الشرع علي الخادم حب مخدومه وطاعتهخ واداء واجبه نحوه باعتبار أن ذلك أمر الله ومشيئته لإبتلائه، كما يوجب في الوقت عينه حب المخدوم لخادمه وحسن المعاملة واحترام ادميته، وأداء حقه اليه غير منقوص باعتباره انسانا مثله بل باعتباره اخا له، ومن ثم فليس الاسلام طبقات بين الناس بمفهوم الطبقات الاجتماعية وانما هي درجات ويستحيل ان يخلو مجتمع ما من الدرجات التي تعرف في علم الاجتماع بالسلم

الاجتماعي الذي ياخذ الشكل الهرمي،وتلك الاسس التصويرة تحقق الوحدة الاجتماعية بين افراد المجتمع بالحب والاخاء ويصبح كما وصفه الرسول عليه الصلاة والسلام (مثل المؤمنين في تعاطفهم و توادهم كمثل الجسد الواحد، اذا اشتكي منه عضو، تداعت له سائر الاعضاء بالحمي والسهر.(دكتور فاروق دسوقي، حرية الانسان في الفكر الاسلامي، ص431)

الحرية الاقتصادية

ايضا من شعب الحرية الانسانية هي الحرية الاقتصادية، ويقدم الاسلام كمنهج لضمانها لكل فرد، نظامه الاقتصادي الاسلامي المحكم المنبثق من حقيقة الخلافة، وذلك أن اعتبار الانسان خلقية الله في ارضه يعني تملكه لها واستغلاله لثرواتها ومنتجاتها، وتعبيد كل ما عليها من نبات وحيوان ومعادن لمعاشه ومتعه المشروع، و ما دام الناس كلهم ايضا خلفاء في الارض فقد اطلقت التشريعات الاقتصادية الاسلامية طاقات العمل عند كل الافراد في المجتمع للاستغلال والبناء والتعمير والانتاج وفي شتي ضروب النشاط الاقتصادي، فأباح الاسلام الملكية الفردية تمشيا مع الفطرة الانسانية، واطلاقا للطاقات البشرية الي اخر مدي مقدر لها وجعل هذه الملكية هي الاجر الطبيعي ، والمكافأة العادلة لمن يعمل و يجتهد لاستخراج الارزاق للناس من الارض، كما أنه لايمكن أن تتحقق خلافة لأحد بدون ملكية.

ويتضح لنا ذلك الامر بمعرفة مفهوم الملكية في الاسلام باعتباره الاساس الفلسفي للنظام الاقتصادي الاسلامي.

فالحرية الاقتصادية لكل فرد في المجتمع، لا يتم الا بتنفيذ التشريع المالي الاقتصادي في القران الكريم، وذلك ان الاباحات في استعمال المال، وفي اطلاق الملكية، واستغلال ثروات الارض، كل ذلك مكفول بالحرية الاقتصادية التي تعتبر حق للجميع، أما الالزامات حيال هذا الحق والتحريمات التي ينص عليها الفقه الاسلامي في بعض استعمالاته والتشريعات التي تمنع الاستغلال الناتج من اطلاق الحرية الاقتصادية، انما جاءت كلها لمنع غبن يقع علي بعض فئات المجتمع وأفراده، الذين اقتضت ظروفهم الجبرية عدم استطاعتهم مشاركة الاخرين استغلال الموارد الطبيعية، لنيل حقوقهم المقسومة لهم بحكم وجودهم، ثم أدوا ما عليهم من التزامات أوجبها الله عليهم نحو الفئات العاجزة، تحققت الحرية الاقتصادية لكل أفراد المجتمع و حدث التوازن المطلوب.

فاذا قام الناس في المجتمع لاستعمال حقوقهم ثم ادوا ما عليهم من التزامات أو جبها الله عليهم نحو الفئات العاجزة، تحققت الحرية الاقتصادية لكل أفرااد المجتمع بلا استثناء، وحدث التوازن المطلوب.

)دكتور فاروق دسوقي، حرية الانسان في الفكر الاسلامي، ص429(

الا أن هذه الحريات مقيدة بضوابط نستعرضها بصورة موجزة كتالي:

•الالتزام بحدود و نظام الدولة التي يعيش فيها الفرد، فلا يجب أن تؤثر حريته علي أمن وسلامة الدولة.

•عدم الحاق الضرر أو المساس بحريات الأخرين أو التحكم بهم، فلا يمكن لأي شخص إجبار الأخرين علي القيام بأي شيء أو السيطرة عليهم.

•ممارسة جميع الحريات الشخصية في حدود الشريعة الإسلامية.

•عدم المجاهرة بالأفعال السيئة او التباهي بها، حتي لا تتسبب في جرح مشاعر البعض.

•عدم انتهاك قيم الأخرين يمتلك جميع الأشخاص الحق في التعبير عن رأيهم و معتقداتهم وقيمهم ولايحق لأي شخص أنتهاك قيمة اخلاقية.

أن هذه الضوابط تضمن الأمان لجميع الناس و عدم المساس بأمن وسلامة الفرد أو غيره من افراد المجتمع، فيجب أن تنعكس حرية الفرد بشكل ايجابي سواء عليه او علي المجتمع بشكل عام، فلا يوجد حرية مطلقة للإنسان، الحرية مقيدة بضوابط دينية و اخلاقية، يجب أن تتناسب مع طبيعة المجتمع الذي يعيش فيه.

أهمية الحرية في الإسلام

جعل الإسلام الحرية حقا من الحقوق الطبيعية للإنسان فلا قيمة لحياة الإنسان بدون الحرية، فبدون الحرية للا يقوي الإنسان علي ممارسة أعماله والقيام بوظائفه، قال تعالي " ولقد كرمنا بني آدم."

ومما يدل من تعظيم الإسلام لشأن " الحرية" أن جعل السبيل إلي ادراك وجود الله تعالي هو العقل الحر، الذي لا ينتظر الإيمان بوجوده بتأثير قوي خارجية، كالخوارق والمعجزات ونحوها، قال تعالي :(لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) .فالله عزوجل قد جعل الإيمان سبيلا للتحرر والانفكاك عن الظلم والتسلط والإستبداد ومن ثم فليس مستغربا أن تنحصر مهمة الانبياء في العمل علي ثبيت هذه الحقيقة وتمثيلها في الواقع فكانت قولتهم جميعا، قال تعالي:(يا قوم اعبدوالله مالكم من اله غيره.(

ولعلنا ندرك في ضوء ما سبق أن الإيمان بالله يحمي النفس، ويحصن الفكر ويعتق الروح ويحفظ القلب عن سلطان الطواغيت، ومن هنا قال الكواكبي: وكفي بالإسلام رقيا في التشريع رقيها بابشر إلي منزلة حصرها اسارة الانسان في جهة شريفة واحدة وهي الله وعتقها عقل البشر عن توهم وجودد قوة ما، في غيرالله من شأنها أن تأتي للإنسان بخير ما أو تدفع عنه شرا ما.

ومع ذلك جعل الله عزوجل سبيل الإيمان به هو الإقناع وجعل وظيفة النبي هي البيان وعدم الإجبار فذكر بالقرآن ومن يخاف وعيد، ذلك أن امر الاستجابة لهذا الخير من عدمه منوط بحرية الإنسان في الاختيار ، قال تعالي:(وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ).(سورة الكهف، الآية 29.

أسس الحرية في الإسلام

إن الحرية الإسلامية تعالج جزءا من قضايا أمتنا الإسلامية لا تكون كذلك حتي تقوم علي ثلاثة أسس تضبطها وتسيرها لخدمة الإنسانية قاطبة، وهي

الأساس الأول : الشوري

في كل ما يتعلق بمصير الشعوب، ومنها الحريات، والشوري مبدأ عام يدخل في تالشوؤن الحياتية، وكثير من القضايا الشرعية المستجدة ، والرسول صلي الله عليه وسلم طبق مبدأ الشوري وكذلك أبوبكر الصديق . رضي الله عنه . وعمر بن الخطاب . رضي الله عنه . كان يجمع أهل المدينة ليشاورهم في الطارئ والمشكل ، ولا تكون الشوري أساسا إلا ’ذا قامت علي الرأفة والرحمة يقول الله تعالي : (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) (سورة آل عمران، الآية 159)

الأساس الثاني: العدل

وهو من أهم مقومات الحرية ، فلا يمكن أن تأخذ الحريات مجراها بدونه، والعدل أساس لكل الأقوال والأعمال والأحكام؛ لأنه مبدأ عام يقول الله تعالي : (وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا) (سورة الكهف، الآية 49)

الأساس الثالث: المتابعة للشرع

ويعني ذلك أن تمارس الحريات وفق ما جاءت به الشريعة الإسلامية ،يقول الله عزوجل : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۗ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ) (سورة البقرة، الآية 170)

من خلال الأسس السابقة يتبين لنا أنه لا إفراط ولا تفريط في مفردات الحرية سواء كانت في الجانب التنظيري أم التطبيقي، ومن غير المقبول منع الحريات الشرعية بدعوي التدين؛ لأنه تنطع وتشدد في غير محله نهي الدين عنه، قال الله تعالي ؛ (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ)(سورة المائدة، الآية 77)

وقال صلي الله عليه وسلم (وإياكم الغلو في الدين...) قال الحاكم في المستدرك : هذا حديث صحيح علي شرط الشيخين ، ولم يخرجاه، كما أن التفريط في ممارسة الحريات بدون أسسها بدعوي الانفتاح والتقدم والتطور ونبذ الرجعية وغيرها من الحجج التي يتشبث بها المنفلتون،ماهو إلا مسخ للفطرة السليمة وخروج بها علي القيم والمبادئ الإسلامية والإنسانية، وتضييع لحدود الله التي بينتها الشريعة الإسلامية يقول الله تعالي: (تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون ((سورة البقرة،الآية 129)

وكل طارئ في الحرية داخلها أو خارجها لايتعارض مع الدين، بل يلتقي معه في منطوقه ومضمونه، ويحقق المصالح والمقاصد الشرعيةفلا مجال لإنكاره أو رده تحت اسم المحافظة علي النسق الثقافي.(محمد براك، أسس الحرية الاسلامي.

المحور الثالث : مفهوم الحرية في الفكر الغربي

الحرية كمفهوم تحكم وعي الإنسان و توجه افعاله، و لذلك يصعب تحديدها تحديدا جامعا، و قد تبلورت الحرية عند الغرب بعد صراع طويل ضد الاقطاع و الكنيسة.

قدم المفهوم الغربي الحديث مفهومين متقابلين للحرية، المفهوم البريطاني الذي يري أن الحرية هو التفلت من القيود الاجتماعية، والمفهوم الأخر هو الذي يؤكد علي أن الحرية هو التزام الفرد والمجتمع بالواجب، ويتحدد عملية تطوير مفهوم الحرية من خلال سياقه الزماني والمكاني ويتم من خلال تجريده عن السياق الثقافي والتاريخي المواكب.

لم يعرف الغرب ما يسمي بالحرية، حرية الرأي والاعتقاد والتجمع والتصويت، وحرية المرأة، الا في غصون القرون الأخيرة، وبدأت سياقها مع فلاسفة الأنوار، وخصوصا مع جون جاك روسو الذي استعمل العقد الاجتماعي ومن خلاله يلتزم الشخص علي جزء حريته من أجل العيش في أمان داخل المجتمع.

"من أقوي مايعني علي فهم طبيعة المصطلحات والمفاهيم الإنسانية والفكرية إدراك المسار التاريخي الذي ولدت فيه ونشأت في أحضانه وترعرت في جنباته، وحتي تضح صورة مفهوم الحرية في المجال الغربي وطبيعتها التي استقر عليها ، لابد من التعرف علي الأجواء الفكرية والمجتمعية التي ولدت فيها الدعوة إلي الحرية"(العميري، 2013،ص 36)

وقد أكد عدد من الباحثين علي أن أول ظهور بارز لسؤال الحرية في الفكر الغربي كان في بداية القران السابع عشر أو قبله بقليل ، و في هذه المرحلة حدثت تطورات ضخمة في الأجواء الغربية وانعطفت الحياة فيها انعطافات حادة ، وانتشرت تغيرات كبيرة علي جميع الأصعدة ، كالصعيد الديني والفكري والفلسفي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي ، وأخذت تشكل في المجتمع الغربي ظاهرة غريبة علي الجنس البشري كله ، وهي ظاهرة نقد الدين والثورة علي تعاليمه ومبادئه، ويرجع تشكل هذه الظاهرة إلي أسباب كثيرة.(المرجع السابق)

وتتمثل هذه الظاهرة في تباين كبيرين هما:

الأول: **التيار الربوبي**، وهو ما يُدعي تيار الدين الطبيعي ، وتقوم فكرته علي أساس أن الإنسان مستقل بعقله في علاقته بالله، ولا يحتاج في ذلك إلي الإيمان بالوحي والنبوة والكتب المقدسة.

الثاني: **التيار الإلحادي**، وتقوم فكرته علي عدم الإيمان بوجود الله ، إما مع الجزم بعدم وجود وإما بمجرد الإكتفاءبالشك في وجوده.

وحاول الفلاسفة الجدد أن يستبدلوا بحضارة مرتكزة علي الواجب نحو الله عزوجل – والواجبات نحو الملك وحضارة ترتكز علي فكرة حقوق الوعي الفردي وحقوق النقد وحقوق العقل وحقوق الإنسان والمواطن.(لالاند، 2001، ص107)

وانتهت وجهة العقل الغربي في التعامل مع قضية الحرية متجهة نحو الأوضاع والحدود المادية البشرية، وغدا مفهوم الحرية يدور حول إطلاق إرادة الإنسان يأتي من خارج الإنسان نفسه، وحتي لو كان الوحي الإلهي، ولم يجعل منظرا والحرية لها حدوداً إلا ما يتعلق بالمقابل الإنساني فقط، وأما مايرضي الإله أو يغضبه فليس له خانة في تلك الحدود

وأصبحت تبني التصورات عن الحرية علي أساس نظرية الحق الطبيعي، الذي يعني أن الإنسان يستحق الحقوق بوصفه إنساناً، ويستمدها من طبيعته الإنسانية فقط لا من غيره ،او علي أساس نظرية العقد الإجتنماعي ، التي تعني : " أن للأفراد أن يتنازلوا عن بعض حقوقهم االطبيعية في سبيل إنشاء سلطة مدنية تتولي تنظيم حياتهم، وهذه النظرية قائمة من حيث الأصل كما هو ظاهر علي نظرية الحق الطبيعي .(شيشاني، 1980، .(

من خلال ماتم ذكره يمكن استخلاص نتيجة مهمة، وهي أن تعاطي العقل الغربي مع مفهوم الحرية اتسم بسمتين بارزتين هما.

•تحييد الدين وعزله عن التدخل في مفهوم الحرية.

•تغليب الحرية الفردية وطغيان الجانب الفردي في حدودها وطبيعتها.

لقد اعتبر الكثير من المفكرين الغربين ان الحرية مرتبطة بالوجود من خلال تلك العلاقة الجدلية التي تربط بينهما ،ونجد منهم: ديكارت وهيدغر وياسبرز ولافال ومارسيل وج. بول سارتر ، الذي اعتبر الحرية هي الشيء الوحيد الذي ليس للإنسان الحرية في التخلي عنه، أي أنها الحق الذي لايملك الفرد في التفريط فيه تحت أي ظرف من الظروف.، لأن الفرد الإنسان مقدر عليه أن يولد حراً، ويعيش حرا ويموت كذلك حراً، والحرية عند سارتر "هي نمط وجود الإنسان وكيانه"(المركز الديمقراطي العربي، 2016)

لأي كان، وكيفما كان، ومهما كان، وأينما كان ،سلب الإنسان حريته التي هي حق طبيعي قبل أن تكون حقا إجتماعيا، أو سياسيا او مدنيا او أخلاقيا.

فمن حق الناس جميعاً، اذا كانوا احراراً حقاً، وفي مجتمع حر، أن يفكروا بحرية تامة، وأن يعبروا عن حريتهم تلك بدون قيد او شرط مع تحملهم المسؤولية تلك الحرية ، فا الإنسان الحر مسؤول عن أفعاله وأقواله وأفكاره ومبادئه وإجمالا إنه مسؤول عن إرادته ، باعتبار الإرادة هي القدرة علي الاختيار.

وهوز وحده يتحمل مسؤولية هذه الحرية علي مستوي القانون الوضعي او القانون الأخلاقي الذي يبيح للإنسان التمتع بحريته ويمنعه من حرمان الأخرين منها، بحيث يجعل حرية الإنسان تقف حين المس بحرية الأخرين.

فالحرية هي انعدام العتف والقوة والجبر، وهو ما عبر عنه برتراند راسل بقوله " إن الحرية تقتضي أن تكون إرادتنا وليدة رغباتنا وليس وليدة قوي ملزمة تظطرنا إلي أن نفعل ما لا نريد فعله."

كما يعرف برتراند راسل الحرية بأنها (غياب الحواجزأمام تحقيق الرغبات). (المرجع السابق)

و بالتالي نري أن الغرب عرف الحرية بأنها الإنطلاق بلا قيود، والتحرر من كل ضابط والتخلص من كل رقابة، وحتي و لوكانت تلك الرقابة نابعة من ذاته هو، من ضميره، فلتحطم وليحطم معها الضمير إن احتاج الأمر، حتي لايقف في وجه استمتاعه بالحياة ، وحتي لا تفسد عليه نشوة اللذة ، ومعني هذا ترك الإنسان وشأنه يفعل ما يشاء ويترك مايشاء وهكذا بدون قيود ولا ضوابط ولا رقابة ، وعلي المجتمع أن يسلم بذلك الحق ، وعلي الحكومة أن تحافظ علي تلك الحرية وتحميها ، فلا دين يحكم النفوس ويكبح جماحها ولا اخلاق تهذب طباعها، و توقظ مشاعرها، وتشير فيها روح النخوة والغيرة والإباء .ولا مثل ، ولا فضائل ، تقاس علي أساسها الأعمال خيرها وشرها ولا حياء يمنع ارتكاب الشطط والجماهرة بالمنكر.

والحرية عندهم تعني أن تفعل ما تشاء وتأكل ما تشاء وتلبس ما تشاء وتعتقد ما تشاء وتنام مع من تشاء (الحرية المطلقة دون القيد والشرط).(أبو خلاد ، 2017، ص 13(

فإذا كان هذا هو الحال فماهي النتيجة؟

النتيجة علي هذا الأساس هو أن الإنسان مارس كل شئ تحت مسمي الحرية ، وزادت معدلات الجريمة والقتل ، والسرقة ، والاختطاف، والاغتصاب، والشذوذ ، والخيانة ، والسكر، والانحلال الخلقي الغير مسبوق ، هذا كله وأكثر موطنه البلاد الراعية والداعية إلي الحرية بدون قيد وشرط.

ولا يزال المنطلق الليبرالي- الذي ركز علي الطابع الفردي لمفهوم الحرية – هو السائد وصاحب الصوت المدوي خاصة، في المجال السياسي المعاصر وذلك بعد تراجع المنطلق الاشتراكي، وأهم مايميز مفهوم الحرية عند الليبراليين تأكيدها علي النزعة الفردية إزاحة القيود والمعوقات من أمام الفرد ، ولايزال كتاب جون ستيورات ميل) (STUART MILL) في الحرية) منبع الفكر الليبرالي.

وقد تمحور كتاب (ميل) حول الدفاع عن الفرد ضد الدولة والمجتمع ، بحسبان أن حرية الفرد هي 00المنطلق وهي الغاية ، و أن نشاطه الحر الذي تنعدم فيه القيوم والضغوط هو عماد التقدم والتتحضر ايماناً بأن الفرد سلطانا مطلقا علي نفسه وجسمه وفكره.(المرجع السابق.(

وهكذا شاعت النزعة الفردية للحرية علي ألسنة أقطاب الفكر الليبرالي فهذا(برتراد راسل) يعرف الحرية بأنها " غياب الحواجز أمام تحقيق الرغبات."

المحور الرابع: الفرق بين الحرية التي يدعو إليها الإسلام والحرية التي يدعو إليها الغرب:

تختلف وجهات النظر بين الحريات التي تنادي بها الإسلام عن الحريات التي تدعوا إليها الغرب وذلك كالأتي:

الحرية في الغرب مفهوم يتعالي عن النص الديني ، فهو يري أن قرار كل إنسان بيده، وأنه ما من شيء يلزم الإنسان إلا قناعاته الذاتية أو قناعاته المجتمعية في حدود حرية الآخرين وحقوقهم، فللإنسان الحق في اختيار أي سلوك أو دين أو عقيدة، شرط أن لا يتنافي مع حرية الآخرين وحقوقهم وفقا لعقد اجتماعي عام.

أما في الإسلام ، فليس من حق الإنسان أن ينحرف عن الدين الصحيح، هذا ليس حقا له بل من الواجب عليه أن ينضوي تحت لواء الدين الصحيح ويعمل بما تمليه عليه إرادة الشخصية ورغباته وقناعاته الخاصة، فلا تنفتح حريته علي التعالي عن النص الديني، بل هو متعبد بهذا النص خاضع له كخضوع الغربي للقانون الأتي من العقد الاجتماعي، فليست لي الحرية في الكذب علي الله ورسوله، ولا في الزنا، ولا في شرب الخمر ، ولا في ترك الصلاة بل أنا ملزم بتطبيق ما أمرني الله به، ولا أستطيع أن أقول لله بأنني أختلف معك في وجهة النظر، فلا أريد أن أقوم بما تريده مني؛ لأن لي الحرية في ذلك.(مقالة بعنوان مالفرق بين الحرية الغربية والاسلامية، الموقع الرسمي لحيدر حب الله.(

الحرية في مفهوم الغربي هي التي تصنع القوانين والتشريعات والدساتير والأعراف والثقافة، أما الحرية في المفهوم الإسلامي فيصنعها الشرع والقانون وتخضع لهما.

هذا التمايز في الحريات يرجع إلي علاقة الإنسان بذاته وعلاقته بربه، لكن هذا كله شيء، ومسألة هل يمكن لأحد من الناس أن يفرض علي الالتزام بالدين الذي لا أؤمن به أو أنني أؤمن لكن لا أريد تطبيقه.. شيء آخر ففي الحالة السابقة كان خلافنا مع الغرب حيث الإنسان هو المحور في كل شيء، وحيث القرار بيده في كل الأمور، في مقابل الله الذي لا يعدو أن يكون مجرد فكرة أو وجهة نظر، علي خلاف الحال في الإسلام حيث المحور هو الله ،والإنسان هو الكوكب الذي يدور في فلك الله تعالي ، وقيمة الإنسان في عبوديته لله و دورانه حول فلكه، لا في دوران الأفلاك حول الإنسان نفسه، عندما نريد أن نكرس مفهوم التوحيد في العصر الحاضر، فإن أهم وظيفة للتوحيد اليوم هو الدعوة للتحرر من كل القيود والآلهة، بما فيها الإله الإنساني، لاسيما بشكله الحديث الآتي من الغرب، فالله هو محور حياتنا وكل قضيتنا, هذا هو الإيمان الديني ."29" طبعا هذا لايعني أن الانسان لا قيمة له، وليس هذا بمبرر لهدر حقوق الإ،سان وحرمته، بل هذا يعني ترتيب أحجار البناء الكبير، حيث يقف الله سبحانه في الأعلي مشرفاً ومهيمناً.(أ/ حسين عوض ، الحرية بين الحضارة الغربية والاسلامية.(

إذا يمكنني القول أن الغرب ينادي إلي الحرية المطلقة دون قيد وشرط ، حيث لا حرية مطلقة في الإسلام، وإلا ما كان للعبودية لله معني ؛ لأن الحرية المطلقة تقتضي ألا تقيد بأي قيد.

الخاتمة

من خلال هذه الورقة وصل الباحث إلي أن الحرية في الإسلام فريضة وضرورة وليست مجرد حق من حقوق الإنسان.

ولقد تفرد الإسلام بأن رفع قيمة الحرية إلي مقام الحياة، فالعبودية والاستبداد ،موت ، والعتق، والتحرير، حياة إحياء...

بل إن بوابة الدخول للإسلام . لا اله الا الله . هي إعلان عن التحرير من كل الطواغيت ، وتحطيم لكل القيود ... وتحرير لجميع ملكات الإنسان من كل ألوان العبودية لغير الله " أو من كان ميتا فأحييناه" الأنعام ، الآية 122.

وبالنظر إلي مجتمعاتنا الإسلامية نجد أن بعض الناس يميلون إلي الحريات الغربية التي تتعارض مع مبادئ الأساسية للدين الحنيف، والدافع وراء ذلك هو عدم فهمهم عن أحكام الدين بصورة جيدة، من خلال هذه الورقة أدعو وأنادي الأمة المسلمة كلها بالتمسك والإعتصام لأحكام الدين الإسلامي ، الذي أعطي وكرس لنا كل الحقوق الأساسية والضرورية لحياة كريمة والتعايش السلمي، ومن ضمنها الحرية في الحرية بجميع جوانبه، حرية المعتقد ، حرية الرأي والتعبير، و..

النتائج

تتخلص نتائج هذا البحث فيما يلي:

أ. الحرية حق و حاجة لكرامة الإنسان.

ب. أقر القرآن الكريم بحرية الإنسان و قد جاءت كثير من آيات الكريمة تؤكد هذا المبدأ العظيم,

ت. من مظاهر الحرية التي يجب أن يتمتع بها الإنسان ، الحرية الشخصية ، الحرية الفكرية، الحرية الدينية، حرية الرأي والتعبير،و...

ث. أن الحرية في الأسلام أصل عام يمتد إلي كل مجالات الحياة البشرية، سواء سياسة اقتصادية اجتماعية ثقافية

ج. نظرة الغرب للحرية هي نظرة مطلقة، بيحث ينادون الي الحرية دون قيد و شرط، علي هذا الأساس ان الانسان مار س كل شي تحت مسمي الحرية و زادت معدلات الجريمة و الانحرافات الاخلاقية.

ح. الحرية في الاسلام لها قيود و ضوابط ، وان هذه الضوابط التي سنها الاسلام للحرية ليس الهدف منها تقييد هذه الحرية بل لصيانتها وحمايتها.

التوصيات

من المقترحات و التوصيات التي أري من الأهمية بمكان التنويه اليها والعمل علي تكريسها هي الأتي:

أ. ان تعمل الدول والحكومات علي الالتزام بفحوي التعهدات القانونية والسياسية والاخلاقية ذات الصلة بالحقوق والحريات الانسانية دونما تمييز او تقصير أو تأجيل.

ب. نشر مزيد من الوعي الثقافي والاجتماعي والسلوكي حول مسائل التنوع الديني والفكري تحقيقا لغاية الحصانة من ظواهر التعصب والغلو، و ضرورات قبول الاخر مهما كان والتعامل معه بايجابية لإحقاق التعايش السلمي والحوار الهادئ بما يؤسس المجتمعات وطنية وعالمية تتفاعل في كنف الحرية والكرامة.

ت. ضرورة تصحيح و مراجعة كل المصادر والمناهج التعليمية، خاصة في الاطوار الأولي لتعليم الأطفال و تنقيتها من معاني الغلو والتطرف والمزايدة والكراهية لكي لا يتم إنشاء أجيال غير واعية و متطرفة لا تؤمن بالحرية الدينية.

المراجع والمصادر

- القران الكريم.
- الاحاديث النبوية.
- الاصفهاني، الراغب الاصفهاني ، المحقق صفوان عدنان داودي، مفردات الفاظ القرآن، سنة النشر 1430. 2009، ناشر. دار القلم ، الدار الشامية، ج 1 ط 4.
- ابو الحسن، أحمد بن فارس بن زكريا ، المحقق عبدالسلام محمد هارون، معجم مقاييس اللغة، سنة النشر 1399. 1979، ج 6.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري جمال الدين ابو الفضل، لسان العرب، الناشر. دار صادر. بيروت، ج 15.
- الزمخشري، ابو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ناشر. دار المعرفة، ط . الثالثة، ج 4.
- الطبري، امام محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الشهير(محمد بن جابر الطبري)، جامع البيان عن تأويل اي القران الكريم.
- العميري، سلطان العميري، فضاءات الحرية بحث في مفهوم الحرية في الإسلام وفلسفتها وأبعادها و حدودها ، سنة النشر 2003، ناشر المركز العربي للدراسات الإنسانية. القاهرة، ج 1.
- الكيلاني، دكتور الإسلامية، ناشر دار المنارة، ج 1.ماجد عرسان الكيلاني، فسلفة التربية
- المركز الديمقراطي العربي، مفهوم الحرية في الإسلام ، https://democraticacide/p.
- شيشاني، عبدالوهاب عبدالعزيز الشيشاني، حقوق الانسان وحريات الأساسية في النظام الإسلامي والنظم المعاصر، سنة النشر 1980، ج 1.
- دسوقي، د/ فاروق، حرية الانسان في الفكر الاسلامي بحث في القضاء والقدر والجبر والاختيار، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع.
- لالاند، أندرية لالاند، المعجم التقني والنقدي للفلسفة، سنة النشر 1909. 1927، ط 17
- لالاند، أندرية لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، سنة النشر 2011، ناشر. دار النشر عويدات للنشر والطباعة، ج 1.
- محمد براك عبداليحيا . أسس الحريةالإسلامية، جامعة أم القرية، ناشر . الجزيرة، http://www.al-gazirah.com
- ناصر بن سعيد بن سيف السيف، أسس الحرية الغربي ، سنة النشر 2017، ج 1.
- وفاء نايف خالد العجمي، مفهوم الحرية في الاسلام، سنة النشر 2016.